الأصول والمؤثرات في مخططات الكنائس من طراز "*التريفويل*" في مصر

د/فتحية جابر إبراهيم عيسى•
د/هبة نعيم سامي جيد•

مقدمة

بدأت العمارة البيزنطية في الجزء الشرقي من الإمبراطورية مع تأسيس القسطنطينية في عام ٣٢٤م. وانتهت بدخول العثمانيين في ١٤٥٣م.، وقد بذل الأباطرة والحكام كل الجهود الممكنة أثناء تأسيس القسطنطينية وذلك لإنشاء روما جديدة في الشرق[١].وفي نهاية القرن الرابع الميلادي بعد أن تم الاعتراف بالمسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية، حدثت تطورات وتغيرات معمارية في عمارة الكنائس وهي المبنى الأساسي ومحور الاهتمامالأول في تلك الفترة؛أما باقي المباني مثل الحمامات، والجمنازيون وغيرها فلم تختلف كثيرًا عن الفترتين الهيلينستية والرومانية[٢]، فيماعدا ظهور استخدام تكنيك مختلف في طرق البناء وهو استخدام الصفوف المتبادلة في البناء،وذلك باستخدام الحجر بالتبادل مع الطوب المحروق[٣].

بالتالي لا نستطيع من أول وهلة التمييز بدقة بين كل المباني المسيحية العامة المبكرة عن سابقتها الكلاسيكية، حتى في أماكن العبادة؛ لكن هناك اختلافات بين استخدام المعابد اليونانية الرومانية كمكان للتعبد،واستخدام الكنائس كأماكن للعبادة، حيث أن المعبد اليوناني كان يتميز معماريًا بوجود المساحات التي تتخذ قدسية خاصة من وجودها في إطار المنطقة المقدسة، كذلك المعابد كان بها أماكن سرية ومؤمنة، وتعتمد على الأعمدة في إقامتها؛بينما استخدام الأعمدة في الكنائس كان يميز فقط الأماكن الهامة بها مثل تقسيمها لصالات؛ أو لتمييز المكان المقدس والمذبح، كذلك الكنائس بنيت كلها بغرض العبادة وليست لأداء طقوس سرية[٤]

•مدرس الآثار اليونانية والرومانية- كلية الآداب جامعة الإسكندرية
•مدرس الآثار اليونانية والرومانية- كلية الآداب جامعة الإسكندرية

[1]J. S. Curl, Dictionary of Architecture and Landscape Architecture, Oxford University Press, 2000, Byzantine Architecture.

[2]M. Capuani, L'egypte copte, Citadelles&Mazendo, Paris, 1999, 260-261.

[3]Y. Elder, "Jerusalem Architectural History: Christian Architecture Through the Ages", in: www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/archaeology/church.html.

[4]C. Stewart, Early Christian, Byzantine and Romanesque Architecture, Vol. II, 1954, 9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المخططات المعمارية للكنائس البيزنطية

يرى الكثيرون أن العمارة المسيحية المبكرة كانت معتمدة كلياً على سابقتها اليونانية الرومانية، فلم تكن في البداية هناك ابتكارات محددة وواضحة،فمثلاً طراز الكنائس ذات المخطط البازيليكي الذي كان الأساس في بناء الكنائس وانتشر منذ بداية القرن الرابع وحتى التاسع الميلادي، فهو لا يعبر عن ابتكار للمعماري البيزنطي؛ فقد ظهرت العديد من النظريات التي تناقش أصول هذا المخطط[٥]. البعض يرجعه إلي مباني البازيليكات الرومانية، التي كانت عبارة عن مباني عامة مستطيلة الشكل استخدمها الرومان للاجتماعات وللقضاء في المنازعات وكان بها مكان أو كرسي لجلوس القاضي[٦]، خاصة مع تحول العديد من مباني البازيليكات الرومانية في العصر البيزنطي إلي كنائس[٧]، حيث تشترك العناصر المعمارية للكنائس مع البازيليكا الرومانية من حيث وجود الحنية في النهاية القصيرة وخاصة الشرقية[٨]، والسقف الخشبي والأعمدة المقسمة للصالة الوسطى والأجنحة وكان هذا هو الرأي المتعارف عليه حتى فترة قريبة، إلا أن بعض الدراسات الحديثة قد أثبتت وجود نظريات أخرى عن أصل المخطط البازيليكي للكنائس من حيث تحول بعض المعابد الرومانية لكنائس[٩] ووجدت بها كذلك الحنية ونفس التقسيم الداخلي[١٠] والسقف الخشبي[١١]. وقد حدث ذلك بعد الإعتراف الرسمي بالمسيحية في القرن الرابع الميلادي. ومثال على ذلك معبد البارثنون في أثينا وتحوله كلياً إلى كنيسة مع عمل تغيرات بسيطة جدًا لتناسب الاستخدام الجديد[١٢].

---

[5]Ibid, 10-11.

[6]M. Wheeler, Roman Art and Architecture, Thames and Hudson, London, 1964, 112; A. Nunnerich-Asmus, Basilika und Portikus, Köln, Germany, 1994, Passim.

[٧]مثلما حدث في البازيليكا التي ترجع للعصر السيفيري في مدينة لبدة الكبرى بتريبوليتانيا على سبيل المثال، لمزيد من التفاصيل راجع:

D.E.L. Haynes, An Archaeological and Historical Guide to Pre Islamic Antiquities of Tripolitania, Archaeology department in Tripolitania, Libya, 1965, 80-81; J.B.W. Perkins, "Excavations in the Severan Basilica at Leptis Magna", in: Papers of British School at Rome, Vol. xx, London, 1951, 111-114; Procopiusa, Buildings, VI.IV, 2-6.

[8]M. Henig, Hand Book of Roman Art, Phaidon Press, Britain, 1983, 55-56; D.S. Robertson, A Hand Book of Greek and Roman Architecture, Cambridge University Press, 2nd edition, 1971, 267; Vitruvius,V,1,4-5.

[٩]مثل معبد الإله زيوس أولبيوس في مدينة ديوقيصرية في كيليكيا بآسيا الصغرى، راجع:

H. Elton, and others, Temple to Church: The Transformation ofReligious Sites from Paganism to Christianity in Cilicia, Ege Yayinlari, Turkey, 2007, 1-9.

[١٠]كذلك فإن مخطط بعض المعابد الرومانية مثل معبد فينوس جنتريكس يشبه مخطط البازيليكا وينتهي بحنية لمعرفة المزيد انظر: A. Nunnerich-Asmus, op.cit., Abb. 25.

[11]C. Stewart, op. cit., 10-11.

[12]A. W. Lawrence, Greek Architecture, Penguin book Ltd., Britain, 1957, 156-157.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك هناك بعض المنازل التي تحولت إلى كنائس، وهي المنازل التي استخدمها المسيحيون الأوائل في اجتماعاتهم في أوقات الاضطهاد، بالتالي يكون تأثير منازل القرنين الثاني والثالث الميلاديين له ملامح واضحة على المخطط البازيليكي، حيث كانت تلك المنازل ذات المخطط من طراز البريستيل Peristyle[١٣] مكان مناسب للاجتماعات، وتعتمد على وجود فناء مفتوح محاط بممرات مع وجود حجرة Tablinum في نهاية المحور الرئيسي، كان يستخدمها رجال الدين الجديد وأمامها توجد منضدة حجرية مزخرفة وهي مكان المذبح في الكنائس، والاختلاف الوحيد في هذا النسق هو أن الصالة الوسطى في المنازل كانت مفتوحة للسماء بينما كان لابد من سقفها في الكنائس، وكانت الإضاءة من خلال نوافذ علوية في الجناحين Clerestory بالإضافة إلي حذف الأعمدة التي حول هذا الفناء في الكنائس[١٤]. أيضاً احتوت بعض القصور الرومانية في القرن الثالث الميلادي على بازيليكا لاجتماعات الطبقة العليا الارستقراطية التي قليل ما كانت تفضل الظهور في الفوروم الروماني،مثال على ذلك مباني البازيليكات الخاصة في منازل شمال إفريقيا، حيث عثر على بازيليكا في مدينة بولا ريجيا في تونس في منزل الصيد وتؤرخ بالقرن الرابع أو الخامس الميلادي، كذلك بنى الإمبراطور قسطنطين بازيليكا في قصره في تيرير Trierواستخدمت بعدها ككنيسة. هناك رأي آخر يرجعأصل الطراز إلي تأثير المعابد المصرية القديمة أيضاً التي كانت تميل إلى المحورية من المدخل وحتى قدس الأقداس[١٥].

على أية حال كان التخطيط المعماري الأول للكنائس منذ بداية القرن الرابع كما رأينا ومايليه هو التكوين البازيليكي المعتاد الذي يتكون عادة من صالة كبرى وهي الوسطى أو الصالة الرئيسية Nave والجناحين الجانبيينAisles؛ اللذان ينفصلان عن الصالة الرئيسية عن طريق صفوف من الأعمدة، وتوجد الحنية عادةفي الجهة الشرقيةفي نهاية الصالة الوسطى وأمامها المذبح، يوجد كذلكفي الجهة الغربية صالة أخرى تسمى صالة المدخل أو بهو المدخل Narthex. تطور المخطط البازيليكي إلى ما يسمى بالمخطط الصليبي، الذي نتج عن إضافة صالة مستعرضة تفصل بين جسم الكنيسة ومنطقة المذبح والمنطقة المقدسة وتمتد من الشمال إلى الجنوب، ولم يعرف هذا النوع كثيرًا وكانت نهايتي هذه الصالة المستعرضةفي الشمال والجنوب إما نهاية مستقيمة، مثلمافي الكنيسة الكبرىفي منطقة أبو مينا، وفي أحيان أخرى تكون النهايتين الشمالية والجنوبية للصالة المستعرضة تنتهي بشكل نصف دائرة وهو الشكل الأكثر شيوعاً؛وينتج عن ذلك وجود ثلاث حنايا نصف

[13]B. C. Rider, Ancient Greek Houses, Argonaut Chicago, United States of America, 1964, 239-243.

[14]J. Butler, The Ancient Coptic Churches of Egypt, Oxford, Vol. I, 1884, 6-35.

[15]J., McKenzie, The Architecture of Alexandria and Egypt 300 B. C.—700A. D, Yale University Press, London, 2007, passim.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دائرية حول المنطقة المقدسة أو الهيكل مكونين شكلاً معماريًا مميزًا أطلق عليه Trefoil[١٦] أو Triconch ويعد هذا الطراز نوع متطور عن الطراز البازيليكي الطوليبي، مع وجود أعمدة حول هذه الحنايا من الداخل. وتتقدم الحنايا أقواس أو عقود، هذا بالإضافة إلى استمرار وجود الحجرتين المتصلتين بالحنية واللتان كانتا تستخدمان في الطقوس الدينية[١٧]. وقد تركز ظهور هذا الطراز في كنائس صعيد مصر على وجه الخصوص؛ لكن لم يقتصر الأمر على الصعيد فقط؛ بل ظهر أيضًا في عدد من كنائس وأديرة مصر الأخرى. ظهر هذا الطراز أيضًا في كنائسفلسطين وتركيا ولكن بقلة وسوف نأتي على ذكر هذه الأمثلة بالتفصيل.

من الجدير بالذكر أنه كان يوجد في بعض الكنائس المتعددة الهياكل ثلاث مذابح،كان أكبرهم وأكثرهم ارتفاعًا المذبح الأوسط، وكانت ترص هذه المذابح جميعًافي صف واحد أمام الهيكل وذلك في اتجاه الشرق، بحيث يوجد مذبح واحد أمام كل جناح ويكون الرئيسي في الوسط، أحيانًا يكون الجزء المقدس مرفوعًا عن باقي أرضية الكنيسة على درجة أو درجتين بحد أقصى، وأحيانًا أخرى كان يظل على نفس مستوىأرضية الكنيسة[١٨].

لا يبدو في كنائس التريفويل أن هناك ترتيبًا لوجود أكثر من مذبح في هذه الحنايا الثلاث، فاقتصر وجود المذبح على الحنية الشرقية فقط. ولابد أن نضع في اعتبارنا أن الالتزام بهذا التوجه لا يتعلق فقط ببناء الكنائس وعمارتها بل إنه يتعلق بالشعائرأيضًا، فلا تحتاج كنائس الرهبان في هذه الفترة المبكرة إلا لمذبح واحد لأنهم يشتركون معًا في إقامة القداس، أما الكنائس العادية خارج الأديرة أو كنائس المدن فكان لابد من وجود ثلاث مذابح على الأقل، حتى يمكن صلاة أكثر من قداس واحد في نفس اليوم إذا استدعت الظروف لذلك؛ ذلك لأنه في الشعائر وإقامتها كان يشترط أن المذبح لا يقام عليه قداسان إلا بعد مرور تسع ساعات؛ لذا لابد من إقامة القداس الآخر على مذبح آخر وذلك في حالة عدم مرور الساعات التسع اللازم توافرها[١٩].

---

[١٦] كلمة تريفويل مشتقة من الكلمة اللاتينية Trifolium وهو نبات ثلاثي الأوراق واستخدم اللفظ في العمارة بشكل الثلاث أنصاف دوائر كما أطلق نفس اللفظ على الرموز التي تتخذ نفس الشكل الثلاثي.

www.Symbols.com/symbol/1964/Trefoil.

[١٧] وجدان نور الدين محمد الشريف، العناصر الكلاسيكية في الفن القبطي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، ١٩٩١، ١٣؛ ك. ك. وولترز، الأديرة الأثرية في مصر، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ٥١- ٥٢.

[18] J. Butler, op. cit., 28.

[١٩] سومرز كلارك، الآثار القبطية في وادي النيل: دراسة في الكنائس القديمة، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٧، ١٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استكمالا لتوضيح الصورة العامة لمخططات الكنائس ظهر مخطط آخر متطور عن المخطط ثلاثي الحنايا وهو المخطط المركزي رباعي الحنايا Tetraconch والذي يتميز بأن المبنى يعتمد على وجود جزء أوسط أو فناء تحيطه الأعمدة، وظهر بقلة في مصر، لكنه ظهر في سوريا، في هذا المخطط يتخلل الحنايا الأربعة مشكاوات بالإضافة للأعمدة المحيطة بالصالة المركزية من جميع الجهات وتمر أمام الحنايا، وظهر في مصر في البازيليكا الشرقية في منطقة أبو مينا وفي كنيسة المدفن لنفس القديس التي تحولت من المخطط البازليكي إلى المخطط رباعي الحنايا تقريبًا في القرن السادس الميلادي[٢٠]. والخلاصة أنهيعد الطراز البازيليكي هو الطراز الشائع بين الكنائس المبكرة؛ إلا أنه ظهرت بعض الطرز الأخرى منها الطراز الصليبي، وطراز التريفويل والتتراكونش. وكان للمهندس المعماري اختيارات عديدة لكنها في معظم الحالات لا يمكننا تحديد أو معرفة السبب وراء اختيار المعماري لطراز بعينه دون طراز آخر[٢١].

على أي حال كان من المعروف أن الكنيسة القبطية هي المكان الأهم والأول لانتشار المسيحية ولم تتغير أو تتأثر طقوس الأقباط الدينية منذ بداية ظهور المسيحية وانتشارها حتى الآن عكس باقي العالم المسيحي الغربي، ولم تكن الاختلافات فقط في أداء الطقوس والشعائر الدينية المسيحية بين الشرق والغرب؛ وإنما كانت هناك بعض الاختلافات الأخرى في الشكل والطابع المعماري ربما يكون ناتج عن اختلاف العادات والتقاليد بين الجانبين الغربي والشرقي. ففي الكنائس الشرقية كان يوجد طابق ثاني يستخدمه النساء في الكنيسة؛ بينما في الكنائس الغربية كانت النساء تستخدم الجناح الأيسر للصالة الوسطى والرجال في الجناح الأيمن وكان يوضع بينهما ستائر[٢٢]. كذلك المنطقة المقدسة ومنطقة المذبح في الكنائس الغربية كان المذبح مرتفع ومفتوح، بينما في الكنائس الشرقية وضع المذبح خلف حاجز عبارة عن حائط مرتفع يفصل المحراب أو المنطقة المقدسة عن جسم الكنيسة[٢٣].كذلك توجيه الكنائس القبطية إلى الشرق وكانت قاعدة قليل جدًا ما يُحاد عنها؛بخلاف الكنائس في الغرب لم تكن تتبع هذه القاعدة وتأثرت فيها بمصر فقط في القرون الوسطى وبدأت بتوجيه كنائسها إلى الشرق[٢٤].

بنيت الكنائس في مصر منذ فترة مبكرة منذ ظهور المسيحية، تقريبًا في حوالي القرن الثالث م.، ويميل Capuani[٢٥] إلىالاعتقاد بوجود اختلافات بين الكنائس التي بنيت في الدلتا والإسكندرية عن تلك التي بنيت في وادي النيل، حيث يرى أن الأولىقد تأثرت

[20]M. Capuani, op. cit., 263.J., McKenzie, op. cit., 287-290;
[21]C. Mango,Byzantine Architecture,Harry N. Abrams, Inc. Publishers, New York, 1976, 87.
[22]J. Butler, op. cit., 3-5.
[23]Y. Elder, "Jerusalem Architectural History. Html.
[24]J. Butler, op. cit., 10-11.
[25]M. Capuani, op. cit., 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مباشرة بالثقافة البيزنطية واتبعت تقريبًا نفس الطرز المعمارية المتبعة في القسطنطينية؛ بينما تلك الموجودة في وادي النيلقد وجدت وتغلغلت فيها الممارسات الثقافية والفنية والمعمارية المصرية بشكل كبير، وقد كان ذلك جلياً منذ الفترة الرومانية وظهور التأثير المصري بقوة في مناطق مصر العليا.

كنائس التريفويل في مصر

أولاً: كنائس الأديرة

١- كنيسة الدير الأبيض

يقع الدير الأبيض أو دير الأنبا شنودة[٢٦]على حافة الصحراء الشرقية على بعد حوالي ٨كم شمال غرب مدينة سوهاج، وهو دير ضخم بحوائط مرتفعة وبحالة جيدة، يحتوي الدير على كنيسة ومباني للرهبان وملحقات متنوعة لخدمة الأغراض المدنية والدينية.الدير أسسه الأنبا شنودة في القرن الرابع الميلادي طبقا لنقش وجد على عتب الباب الداخلي، ثم أضيفت عليه تجديدات لاحقة بإضافة الكنيسة التي على طراز التريفويل. استخدم لبناء الدير مادة الحجر الجيري الأبيض بطريقة أشلر مع استخدام بعض القطع من الجرانيت بين كتل الحجر الجيري ولذلك أطلق عليه الدير الأبيض، هذه الكتل الجرانيتية الضخمة بالإضافة إلى مجموعة من الأحجار الأخرى ربما كانت كتل تنتمي لبعض المباني من الفترة الفرعونية وأعيد استخدامها واستخراجها من قرية أتريب القريبة[٢٧]، حيث توجد كتابات هيروغليفية على بعض تلك الكتل، منها بعض الكتل التي استخدمت في مداخل وإفريز الكنيسة ذاتها[٢٨].أسواره الخارجية أبعادها ٦٥ × ٣٧م ومائلة للداخل أسوة بأسوار المعابد الفرعونية، ويتوج هذه الأسوار من أعلى كورنيش بارز[٢٩]. كان يوجد ست بوابات كمداخل للدير ككل ثم سدت في فترة لاحقة ولم يتبق سوى المدخل أو الباب الجنوبي، كان يوجد في جدران

---

[٢٦]الأنبا شنودة من الشخصيات الهامة في تاريخ الكنيسة المصرية ولد في ٣٤٨م في قرية قريبة من أخميم من أسرة متواضعة وتعلم على يد عمه، وبموته في ٣٨٨م أصبح الأنبا شنودة هو الأنبا والمسئول عن الدير وعمل جاهداً على تطويره وشيد كنيسة لأداء طقوس العبادة بالدير بالإضافة إلى عدد آخر من المباني لخدمة الرهبان، شارك كذلك في مجمع إفسوس في ٤٣١م وجعل من الدير مركزاً هاماً لنشر الثقافة القبطية. بعد موت الأنبا شنودة في حوالي ٤٥٠م تولى بعده الأنبا بيسا Besa أو ويصا الذي كتب كذلك عدد من الكتب باللغة القبطية.M. Capuani, op. cit., 177.

[27] Ibid.

[28] Pierre du Bourguet, L' Art Copte, ÉditionsAlbin Michel, Paris, 1968, 111; F.A. Meinardus, Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts, The American University in Cairo Press, Egypt, 1999, 181- 182; J. Butler, op. cit., 351.

[29] J. McKenzie, op. cit., 244-260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدير من أعلى صفين من النوافذ الصغيرة حوالي سبع وعشرون نافذة في كل صف في الجانبين الشمالي والجنوبي وتسع أعمدة في الشرق وتم سدها كلها حالياً[٣٠].

كنيسة الدير (صورة-١) ذات مخطط تريفويل بصالة وسطى وجناحين، مع وجود صالة المدخل في الجهة الغربية وصالة ضخمة في الجانب الجنوبي. ينتهي الجانب المستطيل الجنوبي من صالة المدخل بحجرة مربعة ومن الشمال بشكل حنية تؤدي إلى حجرة أخرى مربعة، وليس معروف على وجه الدقة استخدامات هذا الجزء في صالة المدخل وربما كانت مكان للتعميد وبالتالي كان لابد من وجود حوض أو صهريج للماء يستخدم لهذا الطقس في ذلك المكان[٣١]؛ لكن وجود تلك الحنية الصغيرة في الجهة الشمالية واحتوائها على مشكاوات ربما يشير إلى كونها استخدمت كمحراب صغير للعبادة أكثر من فكرة كونها مكان للتعميد. الصالة الجنوبية الضخمة الموجودة خارج جسم الكنيسة وملاصقة لها كانت تحتوى على العديد من المساكن أو القلالي الصغيرة لإقامة الرهبان وكانت في طابقين[٣٢]. جسم الكنيسة ذاتها مقسم إلى ثلاث صالات عن طريق صفين من الأعمدة، التي يبلغ عددها أربع عشر عمود في كل صف وتحمل من أعلى عارضة كلاسيكية، أكبرهم الصالة الوسطى الرئيسية التي كانت أرضيتهافي الأصل عبارة عن لوحات من الجرانيت الأحمر والمرمر الأبيض بها زخارف هندسية وهيروغليفية مساحتها ١٢م عرض، تقف هذه الأعمدة على دعامات مربعة، أضيف الصليب بين أوراق نبات الاكانثوس لتلك التيجان الكورنثية[٣٣]، تختلفهذه الأعمدة في المواد والأشكال حيث كان بعضها من كتلة واحدة بأبدان ملساء والبعض الآخر بقنوات على الأبدان، وهذا الاختلاف ربما كان نتيجة لاستخدام أعمدة من مباني رومانية سابقة. يعلو الأعمدة طابق ثاني أعمدته أصغر حجمًا من أعمدة الطابق السفلي، وتوجد درجات سلالم في الجهة الجنوبية للحنية الجنوبية بالكنيسة[٣٤].

يفصل المنطقة المقدسة بالكنيسة عن الصالة الوسطى لجسم الكنيسة حائط مرتفع يتخلله مدخل يؤدي إلي الجزء المقدس والمكون من طراز التريفويل أو الحنايا الثلاث، وقدبنيت هذه الحنايا بداخل جزء مربعشمالاً وشرقًا وجنوبًا من الخارج أي لاتبرز نصف الدائرة خارج البناء[٣٥]. زينت حوائط الحنايا بصف من الأعمدة يعلوها عارضة مزخرفة، نجد بين الأعمدة مشكاوات نصف دائرية أو مستطيلة[٣٦] يأخذ الجزء العلوي منها أو السقف شكل نصف الدائرة يزينه صدفة أو عنصر نباتي مثل

[30] J. Butler, op. cit., 351.
[31] Ibid, 353.
[32] Ibid, 352.
[33] Ibid, 355.
[34] M. Capuani, op. cit., 180.
[35] J. Butler, op. cit., 355.
[٣٦] هذا التبادل بين المشكاوات والأعمدة داخل الحنايا يعكس التأثير الهيلينستي والروماني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عناقيد العنب وغيرها من العناصر الزخرفية المسيحية أو التي ترمز للدين الجديد. تتقدم الحنايا ثلاث أقواس أو عقود، ويوجد المذبح أمام الحنية الرئيسية الشرقية[٣٧]. أضيفت في فترة لاحقة على هذه المشكاوات داخل الحنايا رسوم من القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين على يد مجموعة من الأرمن الذين كانوا يعيشون في مصر، حيث صورت ميداليات بداخلها قديسين، بالإضافةإلى تصوير صليب ضخم باللون الأزرق محدد باللون الأحمر من الخارج وميداليات للملائكة والقديسين في الحنية الجنوبية[٣٨].نجد خلف الحنايا مجموعة من الحجرات لأغراض مختلفة بعضها ذات شكل مربع والأخرى مربعة تؤدي إلي حجرة مستديرة وهي حجرة المعمودية كما يظهر علي المخطط[٣٩].

٢- كنيسة الدير الأحمر

يقع هذا الدير على بعد خمس كيلومترات من الدير الأبيض، شيد في نفس الفترة تقريبًا، وأسسه القديس بيشوي أحد تلاميذ الأنبا شنودة. أسواره الخارجية سميكة من أسفل ومائلةقليلاً إلى الداخل من أعلى، يعلوها كورنيش مصري.

يختلف الدير الأحمر عن الدير الأبيض في أن أجزاؤه والمواد المكونة له قد صممت له خصيصًا ولم تؤخذ من مباني أخرى سابقة. على الرغم من أن رأي Buttler[٤٠] غير ذلك فيذكر أن مواد بناء الدير الأحمر مأخوذة من مباني سابقة مثل الدير الأبيض؛لكن هذا الرأي غير معقول نظراً لأن الأعمدة متناسقة ومتشابهة ومتساوية وكذلك مواد بنائه ليس بها نقوش هيروغليفيةمثلاً ولا أحجار تدل على أنه قدأعيد استخدامها به. على أي حال فقد أطلق على هذا الدير الأحمر لأنه بني بالطوب الأحمر المغطى بالبلاستر وهو أحدث تاريخيًاقليلاً من الدير الأبيض، إذ يرجع إلى منتصف القرن الخامس.

تخطيط الكنيسة (صورة-٢) على طراز التريفويل وهي عبارة عن صالة مستطيلة ٤٤×٢٣م مقسمة إلي ثلاث صالات أكبرهم الصالة الوسطى وذلك عن طريق صفين من الأعمدة. يلاحظ عدم وجود صالة المدخل في الجهة الغربية من الكنيسة، فهي لا تظهر على المخطط، لكن Buttler[٤١] يذكر أنه كان للكنيسة صالة مدخل متشابهة مع تلك التي كانت في الدير الأبيض وتنتهي كذلك في جانبها الشمالي بحنية تحتوي على

---

[٣٧]الأنبا صموئيل، وبديع حبيب جورجي، دليل الكنائس والأديرة القديمة في مصر، شركة النعام للطباعة والتوريدات، مصر، ٢٠٠٢، ١٧٨- ١٧٩؛ الراهب القس صموئيل السرياني، وبديع حبيب جورجي، الدليل إلى الكنائس والأديرة القديمة من الجيزة إلى أسوان، ديرالأنبا بيشاي سوهاج، مطبعة الأنبا رويس، بدون تاريخ، ٥٦؛وجدان الشريف، المرجع السابق، ١٨؛ سومرز كلارك، المرجع السابق، ٢٣٥ .

[38]Ibid, 355.

[39]J., McKenzie, op. cit., 244-260.

[40]J. Butler, op. cit., 356-357.

[41]Ibid, 357.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشكاوات. باقي العناصر متشابهة إلي حد ما مع كنيسة الدير الأبيض، حيث توجد صالة مستطيلة تنتهي بحنية في الغرب في الجانب الجنوبي من جسم الكنيسة، وتوجد سلالم في الجهة الغربية لهذه الصالة تؤدي للطابق العلوي. يتقدمالجزء المقدس أربع أعمدة يعلوها عقود تمثل مداخل للجزء المقدس وتؤدي إلى المذبح الواقع أمام الحنية الرئيسية الشرقية.

بنيت الحنايا الثلاث على طراز التريفويل وذلك داخل مساحة مربعة من الخارج ولا تبرز خارج البناء، تلتصق الحنايا مباشرة بهذا الجزء المربع دون وجود ممر أو مساحة تفصل بين الحنايا والجزء الأوسط. يحيط بالحنايا حجرات بشكل حرفL. الحنايا مزينة بمشكاوات يفصل بينها أعمدة،تتخذ هذه المشكاوات شكل نصف الدائرة في الحنية الشرقية ومربعة في الحنية الجنوبية ومزينة من الداخل بموضوعات زخرفية، أما من الخارج فيحف المشكاة عمودان يحملان حمال وكورنيش منحوت فوقه واجهة مثلثة مكسورة، وتتميز هذه المشكاوات المكونة من طابقين هنا بأنها مرسومة وملونة وليست مزخرفة بمنحوتات ربما لأسباب اقتصادية[٤٢].

٣-كنيسة دير الأنبا أبو فانيوس

وجد هذا الدير في الصحراء الغربية وتذكر المصادر التاريخية أنه قد حدثت معجزات حول قبر القديس أبو فانيوس[٤٣]مما جعلهم يبنون كنيسة فوقه وتحول المكان وتطور إلى دير بالكامل ببناء مباني أخرى صالحة للرهبان وذلك في القرن الخامس الميلادي؛ لكن هاجر الرهبان الدير تمامًا بعد القرن السابع الميلادي وغير معروف سبب ذلك ولكن ربما كان هناك وباء أو مرض في المنطقة.

يحيط بكنيسة الدير(صورة-٣)أسوار عالية من الطوب،تؤرخ الكنيسة بالقرن السادس الميلادي، وقد حدثت عليها تعديلات في فترة لاحقة. يقع مدخلها في الجانب الشمالي بالإضافة إلي مدخل آخر في الجانب الجنوبي. الكنيسة مقسمة من الداخل إلى صالة وسطى وجناحين عن طريق صفين من الأعمدة عددها خمسة في كل جانب مع وجود عمود زائد في الجهة الغربية. يتقدم المنطقة المقدسة عمودان يحصران بينهما مدخل يؤدي إلى المذبح الذي يوجد أمام الحنية الرئيسية الشرقية، مخطط هذا الجزء ثلاثي الحنايا أو تريفويل ولا تبرز الحنايا من الخارج وإنما يحيطها جزء مستقيم، تحتوي الحنايا على مشكاوات مزخرفة يفصل بينها أعمدة، رسم بالألوان في إحدىهذه الحنايا

[42]M. Capuani, op. cit., 181-182.

[٤٣]كان ينتمي القديس أبو فانيوس لأسرة تعيش في ممفيس واستقل عنهم ليعيش حياة الرهبنة وكان يبلغ من العمر وقتها ثمانية عشر عام، ويقال أنه قدر رأى رؤية عن وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس وتنبأ بها في ٣٩٥م وبعد هذا الإعلان توفى بعدها أبو فانيوس وقد عثر على بقايا جسده في ١٩٩٢م داخلمقبرة وجدت في أرضية كنيسة المدفن بالدير وبتحليل بقايا الجسد تأكد أنه توفي وهو يبلغ من العمر أربعون عاماً حيث كان مريضاً، وبالتالي فربما ولد في ٣٥٥م ومات في حوالي ٣٩٥م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صليب ضخم لذلك كان أحياناً يطلق عليه دير الصليب. يحيط بالحنايا من الخارج حجرات صغيرة تؤدي من وإلى جسم الكنيسة[٤٤].

٤- كنيسة دير الأنبا باخوم

يقع هذا الدير في مدينة أخميم[٤٥]وقد عثر بالمدينة على العديد من بقايا المباني المسيحية مثل كنيسة القديسة دميانة وكنيسة السيدة العذراء وكنيسة أبو سيفين في وسط المدينة. لكن وجد بها دير هام يقع شمال أخميم وهو دير الأنبا باخوم وأخته ضالوشم Dalousham، وهو دير يقع على بعد ١٢كم شمال أخميمفي قرية تسمى حاليًا نجوع الصوامعة وبني في القرن السادس الميلادي[٤٦].

لم يتبق من الدير حاليا سوى أجزاء من الكنيسة(صورة-٤) والتي كانت تشبه كنيسة الأنبا شنودة بسوهاج ترجع لحولي القرن السادس الميلادي، ومن الملاحظ إعادة استخدام أحجار من مباني فرعونية سابقة في بناء الكنيسة، حيث وجد على عتب الباب نقوش هيروغليفية. الكنيسة على المخطط المعتاد التريفويل حيث يوجد في نهايتها الشرقية ثلاث حنايا ويتخللها مشكاوات ويحيط بالمشكاوات حجرات من الجهتين[٤٧].

٥-كنيسة دير ماتمرMatmar

يطلق على هذا الدير المطمور أو المدفون و يقع على بعد ١١كم غرب أرمنت على حدود الصحراء ومساحته كبيرة،يطلق على المكان كذلك دير العبايد[٤٨]. بقايا كنيسة الدير كانت ذاتمخطط تريفويل حيث كانت تتكون من صالة وسطى وجناحين عن طريق أعمدة لكنها اختفت الآن وغير معروف عددها ولم يتبق من الحنايا الثلاث المكونة للجزء المقدس الكثير لمعرفة شكلها الأصلي، ربما تؤرخ الكنيسة والدير بالقرن السادس الميلادي وربما تمت عليه تعديلات في القرن الثامن الميلادي وعُرف ذلك من خلال بعض الأساسات في المنطقة المقدسة قبل منطقة الحنايا[٤٩].

---

[44]Ibid, 149.

[٤٥]اشتق اسم مدينة أخميم من اللفظ الفرعوني خبنت-مين ثم حرف الاسم إلى خمين وشمين في القبطية وهي مدينة تقع على الضفة الغربية لنهر النيل في مقابل مدينة سوهاج، كانت المدينة عاصمة الإقليم التاسع عشر من أقاليم مصر العليا، وكانت مركزاً لعبادة الإله مين إله الخصوبة الذي عُبد في مدينة قفط كذلك،وشبه بالإله بان لدى اليونانيين لذلك سميت أخميم في العصرين اليوناني والروماني بانوبوليس، راجع: Ibid, 184.

[46]Ibid, 184.

[47]Ibid, 185.

[٤٨]صموئيل السرياني، وبديع حبيب جورجي، المرجع السابق، ٧٥.

[49]Ibid, 220.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦-كنيسة دير أبو ماتا

يقع هذا الدير في الواحة الداخلة[٥٠] على بعد حوالي ٢٠كم من مدينة موت باتجاهالشمال، ولم يتبق منه سوى بقايا للكنيسة(صورة-٥) التي كانت مبنية بالطوب وبقي لنا منها فقطالحوائط الخارجية وبعض الأساسات التي توضح أن مخططها كان على طراز التريفويل، حيث قسمت إلى صالة وسطى وجناحين عن طريق صفين من الأعمدة، الجزء المقدس مكون من ثلاث حنايا تريفويلويجاور الحنيتين الجانبيتين حجرتان إلى الجنوبوالشمال يتخذان شكل حرف L وتؤرخ الكنيسة بحوالي القرن السادس الميلادي[٥١].

ثانيًا: كنائس المدن(الحضرية)

١- كنيسة دندرة

تقع هذه الكنيسة في مدينة دندرة[٥٢]وتقع بين بيتي الولادة وخاصة إلى جوار بيت الولادة الذي يرجع للعصر الروماني والخاص بالإمبراطور نيرون أو تراجان ويرجع للقرن الأول أو الثاني الميلادي. ترجع الكنيسة إلى القرن الخامس الميلادي،وكان المعتاد في الكنائس المصرية أنها تكون باتجاه شمال-شرق بينما في كنيسة دندرة كانت باتجاه جنوب-شرق ربما تأثرًا بمبنى سابق لبناء الكنيسة ربما بيت الولادة والذي أقيمت الكنيسة بشكل متوازي معه. ويبدو أنه قد أعيد استخدام أحجار من مباني سابقة على الكنيسة، ربما من المعبد المجاور، لبنائها بدليل استخدام نفس تكنيك وصل الأحجار بالمشابك المعدنية بشكل ذيل الحمامة بدعامات خشبية بداخلها(صورة-٦)[٥٣]. تحتوي الكنيسة(صورة-٧) على مدخلين أحدهما في الجانب

---

[٥٠]يقع على بعد ٥٥٠كم جنوب الواحة البحرية و٢٠٠كم غرب الواحة الخارجة، وقد لعبت المنطقة دوراً هاماً في تجارة القوافل في الصحراء. وجد بها العديد من البقايا الأثرية المسيحية، حيث كان هناك معبد في دير الحجر على بعد ١٢كم من مدينة القصر وأعيد استخدامه كدير في القرنين الخامس والسادس الميلاديين وبنيت به كنيسة على الطراز البازيليكي. وفي النهاية الشرقية للواحة الداخلة على بعد ١٤كم من مدينة موت تقع كنيسة في مدينة سمنت الخراب أو كيليس في العصرين اليوناني والروماني وهيكنيسة على المخطط البازيليكي كذلك.

www.passion-egyptienne.fr/oasisDakhla.htm.

[51]M. Capuani, op. cit., 227-228.

[٥٢]كانت مدينة دندرة تقع على بعد ١٣٠كم جنوب سوهاج وكانت تسمى في اللغة المصرية القديمة تانترت وفي اليونانية تنتريس،وهي عاصمة الإقليم السادس عشر من أقاليم مصر العليا وكانت مركزاً هاماً لعبادة الإلهة حتحور حيث وجد بالمدينة أكبر معابدها الذي يغطي مساحة ضخمة من المنطقة ويحيطه سور ضخم من الطوب اللبن، وكانت تقام احتفالات ضخمة في أعياد الزواج الخاصة بالإلهة حتحور وحورس إدفو، يرجع المعبد الأصلي لعصر الأسرة الرابعة وحدثت عليه تعديلات وإضافات عديدة في العصرين اليوناني والروماني، يجاور المعبد بيتين للولادة *ماميزي*، وإلى جنوب معبد حتحور يوجد معبد صغير كرس للإلهة إيزيس، راجع:

J., McKenzie, op. cit., 283-285.

[53]M. Capuani, op. cit., 200-201.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجنوبي على بُعد بضع أمتار من الزاوية الجنوبية الغربية، بينما يقع المدخل الثاني في الزاوية الشمالية الغربية والمدخلان لا يؤديان مباشرة إلى الصالة الوسطى من جسم الكنيسة ولكن يؤديان إلى حجرات متماثلة بمثابة حجرات أمامية لبهو المدخل الذيْن بمشكاوات بها زخارف منحوتة ثرية، يوجد في جانبها الشرقي ثلاثة أبواب تمثل مداخل للصالة الوسطى من جسم الكنيسة. الجزء المقدس من الكنيسة على طراز التريفويل حيث ينقسم إلى صالة وسطى وجناحين عن طريق صفين من الأعمدة عددها خمسة في كل جانب مع وجود عمود زائد جهة الغرب في الوسط، توجد مشكاوات في الجناحين الشمالي والجنوبي من جسم الكنيسة كما يبدو من المخطط.

تتكون المنطقة المقدسة في الشرق من ثلاث حنايا تريفويل ويزخرف الحنية الشرقية مشكاوات من الداخل، وزخارف المشكاوات بالكنيسة كانت متنوعةحيث زخرفت أسقفها بشكل الصدفة ويتوسطها زخارف أخرى مثل النسر، والصليب، أو ميداليات وعناقيد عنب(صورة-٨).توجد حجرة بشكل حرف L بجوار كل حنية من الحنيتين الجانبيتين الشمالية والجنوبية كما في كنائس الديرين الأبيض والأحمر.كان حجم الحنايا بنفس حجم حنايا الدير الأبيض وحنايا دير الأنبا باخوم، ويبدو أن استمرار استخدام نفس الحجم والمقاييس لنفس المخطط يشير ليس فقط إلى أن المعماريين لم يكونوا فقط على اتصال ببعضهم البعض لكنهم كانوا على دراية بالطراز وحجمه ومقاييسه بدقة[٥٤].

٢- كنيسة الأشمونين

تقع هذه الكنيسة في مدينة الأشمونين أو هيرموبوليس ماجنا[٥٥]وقد بنيتفي نفس موقع معبدلعبادة الملك بطلميوس الثالث إيورجتيس الأول وزوجته الملكة برنيكي، حيث وجدت بقايا تيجان من المعبد البطلمي أعيد استخدامها في أساسات الكنيسة التي بنيت مباشرة على أنقاض المعبد البطلمي،ويبدو كذلك أن مساحة الكنيسة كانت أصغر من مساحة المعبد كما يتضح من المخطط(صورة-٩أ)وذلك في القرن الخامس الميلادي. مخطط الكنيسة(صورة-٩ ب) علىطراز التريفويل حيث توجد الصالات الثلاث المعتادة الوسطى والجناحين، ويحيط بالصالة الوسطى أعمدة من الجرانيت بتيجان كورنثية، توجد صالة أو بهو المدخل في الجهة الغربية من الكنيسة وإلي جوارها توجد درجات سلالم كانت تؤدي للطابق العلوي، بالإضافة إلى وجود مدخل آخر في

---

[54] J., McKenzie, op. cit., 283-285.

[٥٥] إن بقايا المدينة القديمة والتي تسمى الآن الأشمونين تقع على بعد عشر كيلومترات شمال غرب ملوي، حيث كانت عاصمة الإقليم الخامس عشر من أقاليم مصر العليا، وكانت مركزا لعبادة الإله تحوت الذي يصور على هيئة الأيبس أو البابون، سميت المدينة في العصرين اليوناني والروماني هيرموبوليس ماجنا أو مدينة الإله هيرميس الكبيرة حيث شبه اليونانيين بينه وبين الإله تحوت.

Ibid.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجهة الشمالية من الكنيسة عبارة عن بوابة كبيرة يتقدمها أربع أعمدة[٥٦]. وضع المذبح أمام الحنية الشرقية في الوسط ويحيط بالحنايا الثلاث الشرقية، الجنوبية والشمالية أعمدة من الداخل، وقد أقيمت الحنايا داخل مساحة مربعة كالمعتاد ولاتبرز للخارج، يجاور الحنية الشرقية حجرات على كل جانب ومقاييسها أقل من الكنائس السابقة من نفس الطراز. أرضية الحنايا مبنية على مستوى أعلى من أرضية الصالة الرئيسية للكنيسة ربما بسبب أساسات المعبد البطلمي أسفل منطقة الهيكل بالكنيسة، ووجود مقبرة أسفل منطقة الهيكل[٥٧]. ربما يعكس وجود الفناء أمام الكنيسة كذلك فناء المعبد البطلمي، لأن وجود الأفنية كانت نادرة أمام الكنائس في مصر[٥٨].سقف الحنايا أقل ارتفاعًا من سقف الصالة الرئيسية وينتهي عند العقد الذي يتقدم الحنية، وكان في الأصل من الخشب ويحمل فوقه طابقًا آخر تحول بعد ذلك إلى سقف مبني بالطوب المحروق[٥٩].

٣- كنيسة ماريا الهوارية El- Haouwariya

تقع مدينة ماريا على بعد حوالي ٣٣كم جنوب غرب الإسكندرية، وكانت تتميز في العصرين البطلمي والروماني بإنتاج مصانع النبيذ وكانت تحتوى على موانئ هامة والعديد من البقايا الأثرية، ومنها كنيسة من طراز التريفوريل(صورة-١٠)تؤرخ بنهاية القرن الخامس وبداية السادس الميلادي.تضم هذه الكنيسة صالة رئيسية وجناحين بالإضافة إلى جناح عرضي.الصالة الوسطى منفصلة عن الجناحين الجانبيين بصفين من الأعمدة، وهذه الأعمدة لا تنقطع في نهاية الصالة،بل تمتد وتستمر في جزء التريفوريل، خاصة حول الحنيتين الشمالية والجنوبية من الداخل. كان يعتقد قبل اكتشاف هذه الكنيسة أن كنيسة هرموبوليس هي الوحيدة على هذا النمط في مصر، حيث الجزء العرضي الذي ينتهي بثلاث حنايا نصف دائرية وبمقارنة بازيليكا هرموبوليس مع ماريا نجد أن كنيسة ماريا لا تحتوي على παστοφόριαpastophoria[٦٠] التي تقع على جانبي المحراب، والممرات الشمالية والجنوبية للكنيسة[٦١].

---

[56]M. Capuani, op. cit., 152-153.

[٥٧]عزت قادوس، محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ٨٧.

[58]J., McKenzie, op. cit., 285.

[٥٩]وجدان الشريف، المرجع السابق، ١٣- ١٤.

[٦٠]خزانة تقع في الطرف الشرقي من الكنيسة، تستخدم في التجهيز والتحضير للخدمات الطقسية الدينية..https://fr.wikipedia.org/wiki/Pastophoria. 26-1-2016

[61]M. Capuani, op. cit., 22- 23.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يلاحظ على حنايا التريفويل في كنيسة ماريا أنها تبرز إلى الخارج وليست مبنية داخل جزء مربع أو مستقيم مثل كنائس صعيد مصر وهو أمر نادر في مصر لكنه كان شائعًا خارج مصر وفي الشرق مثلما في كنيسة في بيت لحم بفلسطين[٦٢].

ثالثاً: كنائس الإسكندرية المفقودة

كان الرأي السائد والمتعارف عليه أن كنائس الإسكندرية المفقودة كانت متأثرة مباشرة بالقسطنطينية، وتختلف عن تلك الموجودة في باقي مناطق مصر. لكن الدراسات الحديثة توضح رأي مختلف وهو ارتباط تلك الكنائس الباقية في مصر بتلك المفقودة من الإسكندرية وليست بمعزل عنها. ونحن لا ننكر أنه كان للإسكندرية دوراً هامًا في العصر البيزنطي من خلال ظهور الابتكارات المعمارية مثلما كانت من قبل في العصرين البطلمي والروماني. وتدل الإشارات والمصادر التاريخية القديمة على ذلك وعلى نمو وتزايد حركة بناء الكنائس بالمدينة منذ نهاية القرن الثالث الميلادي وبداية الرابع واستخدمت جنباً إلى جنب مع بعض المعابد الوثنية مثل معبد التيخيون والتيمونيوم والسيرابيوم[٦٣] إلى أن انتهت الوثنية بالمدينة في ٣٩١ م بتدمير معبد السيرابيوم.

بما أنه كان للإسكندرية دوراً هاماً ومميزاً لنقل الثقافة الواردة إلى جنوب مصر فربما بنيت نفس مخططات الكنائس من طراز التريفويل بها، نظراً لأنه طراز مميز انتشر في مصر فلابد أنه ظهر كذلك في الإسكندرية، خاصة وأنه استخدم واكتشف في ماريا بالقرب من الإسكندرية كما رأينا في الكنيسة من طراز التريفويل(صورة-١٠).

رابعاً: كنائس التريفويل خارج مصر

وجدت بعض الكنائس على طراز التريفويل خارج مصر إلا أنها تركزت كذلك في الشرق، حيث وجد عدد منها في ليكيا التي توجد في أناتوليا على الساحل الجنوبي من تركيا)[٦٤]بآسيا الصغرى وتم الكشف عن هذه الكنائس في الحفائر التي تمت ما بين ١٩٩٨- ٢٠٠٠ بالموقع[٦٥].

من أمثلتها تلك الموجودة في الموقع المسمى اندرياكي Andriake[٦٦]ولها حنايا بها نقوش ومن المتعارف عليه أن الكنائس التي لها حنايا تحمل نقوش تؤرخ بالقرن السادس الميلادي على سبيل المثال كنيسة الأسقفIsaiah، والقديسين بطرس وبولس في جرش والتي يعود تأريخها إلى ٥٢٠- ٥٥٠ م وكذلككنيسة الأسود في Umm al

---

[62]Y. Elder, "Jerusalem Architectural History. Html.

[63]S, Venit, Monumental Tombs of Ancient Alexandria: Theater of the Dead, Cambridge, 2002, passim.

[64]Suna Çağaptay Arıkan, The Church at Choma,(HcimusalarçElmali- Antalya), and its Materials, Master Thesis of Arts in the Department of Archaeology and History of Art, Bilkent University, Ankara, 2001, 1.

[٦٥]توجد فيAnatoliaعلى الساحل الجنوبي من تركيا

[٦٦]يوجد أيضًا بالموقع كنيسة أخرى على طراز التريفويل (شكل ٧)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Rasasأم الرساس وتؤرخ بالقرن السادس كذلك[٦٧]. كذلك وجدت أربعة أمثلة أخرى في ليكيا على طراز التريفويل ومن أهمهم تلك الموجودة في كاربائيل Karabel (صورة-١١) وهي أقدم هذه الكنائس الأربعة وتؤرخ بحوالي القرن السادس الميلادي كذلك[٦٨]. كما يوجد أمثلة لمخططات من ليكيا يمكن مقارنتها بنفس النمطالتريفويلوهي كنائس في مواقعDevekuyusu, Alacahisar, Kökburnu and Dikmen[٦٩]. والتي كانت معظم الحنايا فيها بنفس المقاييس[٧٠] مما يدل على أنه ليس فقط مجرد استخدام وتكرار لنفس النمط وإنما باستخدامه بنفس المقاييس.

يعتقد Harrison[٧١]مكتشف معظم تلك الكنائس أن تلك التي في Karabel هي أقدم هذه الكنائس الأربعة وهي الطراز السابق للكنائس الأخرى ويؤرخها بحوالي القرن السادس. ويعتقد كذلك أن بعض تلك الكنائس على نمط التريفويل مأخوذ من جنوب البحر المتوسط خاصة من مصر وفلسطين. كما يؤرخ الكنائس التي توجد في ليكيا وبنيت على الطراز البازيليكي بتاريخ مبكر عن تلك التي بنيت على طراز التريفويل[٧٢].

خامساً: الأصول والمؤثرات

يأتي هنا التساؤل حول ما إذا كان هذا الطراز المعماري التريفويل الذي استخدم في بناء الكنائس، هل كان ابتكارًا للمعماري في العصر البيزنطي أم كانت له أصول سابقة؟ وهل كانت تلك الأصول السابقة رومانية أم مصرية؟!

يعد استخدام المشكاوات متعددة الطرز هو ذو أصل روماني انتشر في القرن الثاني الميلادي، وكذلك التتابع بين المشكاوات ذات السقف المستطيل مع تلك ذات السقف المستدير كانت مستخدمة في العمارة الرومانية وظهرت على سبيل المثال في مسرح مدينة سبراطة(صورة-١٢) في تريبوليتانيا وفي شمال أفريقيا في القرن الثاني أيضًا[٧٣]. ومن الجدير بالذكر أن استخدام المشكاوات داخل الحنايا في الكنائس لم يستمر في الكنائس خارج مصر سوى في منطقة شمال أفريقيا.

إن فكرة الازدواجية بين ما هو وثني ومسيحي ظلت قائمة خلال تلك الفترة المبكرة قبل تدمير معبد السيرابيوم، حيث أن استمرار العناصر المعمارية الكلاسيكية من

---

[67]Suna Çağaptay Arıkan, op. cit., 25.

[68]C. Mango, op. cit., 359.

[69]Suna Çağaptay Arıkan, op. cit., 26.

[٧٠]يوجد اختلاف وحيد بين كنيسة(شكل-٧)والأربعة كنائس الأخرى وهو أن الثلاث حنايا في الأربعة كنائس لهما نفس الأبعاد التي تتراوح بين٨ متر في karabel و٤,٥ متر فيDikmenفي حين الحنية الشرقية فيها قطرها ٦متر والشمالية ٤ متر، راجع: Suna Çağaptay Arıkan, op. cit., 28.

[71]R. M.Harrison ,"Churches and Chapels of Central Lycia", Anatolian Studies 13,1963, 117-163

[72]Suna Çağaptay Arıkan, op. cit., 27.

[73]G. Caputo, "IL teatro di sabratha", in: Monografie di ArcheologiaLibica, VI, Roma, 1959, 18-21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفترتين البطلمية والرومانية تظهر في العديد من المراكز الحضارية الكبرى مثل الأشمونين وأوكسيرينخوس (البهنساحاليًا بالمنيا)، حيث كان يتم نحت العناصر المعمارية لكلا المباني الوثنية والمسيحية معًا على يد نفس الفنان كما يظهر من خلال استخدام الجمالون المكسور والمشكاوات؛ لأن معظم تلك العناصر المعمارية كانت شائعة الاستخدام في القرنين الثالث والرابع الميلاديين وهي تؤكد سيادة الاستمرارية بين العناصر الكلاسيكية المحلية المعمارية لمدن مصر الرومانية من القرنين الأول إلى الثالث الميلاديين والتي استمرت في كنائس القرنين الخامس والسادس.

يلاحظ ظهور مخطط التريفويل منذ عصر الإمبراطورهادريان في روما، لكن لم يقتصر الأمر على ذلك فقط وإنما نجد تكرار ظهوره وبصورة قوية في مقبرة سوق الورديان بالإسكندرية التي ترجع للعصر الروماني حيث تعتبر أحد أهم مقابر الجبانة الغربية بالمدينة نظرًا لمخططها المعماري المتميز(صورة-١٣) ومن أهم عناصر ذلك المخطط وجود حجرة مستديرة يطلق عليها حجرة الروتندا، لكنها تختلف عن مثيلتها في مقبرة كوم الشقافة التي يوجد بها البئر والدعامات التي تحمل القبة، بينما في مقبرة سوق الورديان فهي عبارة عن حجرة مستديرة قطرها حوالي ٧م يفتح على هذه الحجرة تسعة أماكن للدفن مُقسمة على ثلاث حجرات، الأولى إلى اليمينوالثانية في العمق على محور المقبرة الرئيسي، والثالثة إلى اليسار.يوجد في كل حجرة ثلاثة توابيت للدفن أحدهما بشكل أفقي والاثنان الآخران يتعامدان عليه بشكل Trefoil، يعلو كل تابوت سقف مقوس أو عقدي Arcosolia[٧٤].

بالنسبة لمثل هذه النوعية من حجرات الدفن الثلاثية فهي تقوم على الطراز الروماني المعروف، لكني أعتقد أنها كانت امتداد لحجرات الدفن اليونانية أو المقدونية التي كانت تستخدم الدفن في الآرائك الجنائزية Kline والتي كانت تُصف داخل حجرة الدفن بنفس الطريقة مثلما في مقبرة مصطفى كامل، لكن الفارق هنا في سوق الورديان هو وجود السقف الذي يعلوه شكل العقد وذلك لم يوجد في الحجرات المقدونية. وتطلق سوزان فينيت[٧٥] على مثل هذا الطراز من حجرات الدفن الثلاثية مسمى التريكلينيوم[٧٦]Treclinium وترجعها إلى العصر الإمبراطوري وهي تطلق

[74]A.Adriani, Repertoriod'arte Greco-Romano dell'Egitto, Vll. I-II C, S1902, 162-170.

[75]S, Venit, op. cit., 96-99.

[٧٦]وقد كان معروفاً أن هذا اللفظ تريكلينيوم يطلق على حجرة الطعام في المنازل الرومانية ذات مخطط Peristyle، أو الفناء المفتوح الذي تحيطه الحجرات على جميع الجوانب ومن بينها حجرة التريكلينيوم التي كانت تستخدم للطعام وبها ثلاثة مقاعد لجلوس أفراد العائلة، وكانت توضع مائدة في الوسط ويجاورها مذبح لتقديم القرابين مع كل وجبة، وقد ظهر بالفعل مثل هذا النوع من حجرات الطعام داخل المقابر الرومانية وكانت تستخدم في الأعياد وغيرها مثلما في مقبرة كوم الشقافة، وهي حجرة مستقلة بذاتها بها ثلاثة مقاعد اثنان متعامدان على الثالثة وفي الوسط كانت توجد المائدة، ولم يطلق اللفظ ذاته على حجرة الدفن في نفس المقبرة والتي تنقسم معمارياً لنفس الشكل من حيث وجود التوابيت الثلاثة المنحوتة في الصخر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نفس المسمى على كل المقابر التي تحتوي على حجرات دفن بها توابيت ثلاثة، وتذكر "أنه ربما كان الدافع الأول لبناء حجرات التريكلينيوم بهذا الشكل كان الأساس فيه فكرة المائدة الجنائزية التي كانت توضع في الوسط وكانت جزء هام من الطقوس الجنائزية الرومانية التي كانت تقام في المقابر في ذكرى أعياد ميلاد المتوفى وغيرها، بالإضافة إلى أن هذا الشكل المعماري هو تخليد لذكرى المتوفى"[٧٧].

وربما استخدم اللفظ التريكلينيوم لتلك النوعية من المقابر بسبب وجود نفس المخطط الذي يشبه بشكل أكبر طراز التريفويل في الكنائس، وبسبب ظهوره كذلك من قبل في قاعة طعام فيلا الإمبراطور هادريان في تيفولي بإيطاليا(صورة-١٤)[٧٨].

يعد الابتكار الحقيقي في العصر البيزنطي هو طريقة بناء القبة والتي ظهرت ببراعة في كنيسة أيا صوفيا في تركيا. وأعتقد أن القبة التي ظهرت في الشرق بصورة بارعة ربما تأثرت القسطنطينية فيها بالإسكندرية وليس العكس(كما ظهر في مقابر الورديان وقبتها الرائعة منذ فترة مبكرة)[٧٩].

---

[77] S, Venit, op. cit., 97-98.

[٧٨] كانت فيلا ضخمة تحتوى على العديد من المباني وحمامات السباحة ونوافير ومباني معمارية ساد فيها الطرز الكلاسيكية اليونانية، حيث كان معروفاً أن الإمبراطور هادريان كان محباً للهيلينية أي العناصر اليونانية الكلاسيكية، وربما تأثر مخطط فيلا هادريان بالشرق خاصة بعد زياراته لمصر حوالي ١٢٨م، يظهر كذلك التأثير المصري في استخدام نمط الحدائق التي ظهرت في منازل الإسكندرية والتي عرفناها من خلال رسوم بومبي، كذلك استخدام أعمدة على الطراز المصري وتصوير الإله بس المصري. ويذكر كذلك في المصادر أن هادريان قد أطلق مسميات الأماكن التي قام بزياراتها على مباني وحجرات الفيلا المختلفة، ومن بعضها حجرات تسمى كانوب الموجودة في الإسكندرية، يوجد بداخل الفيلا منطقة تسمى المسرح البحري وهي عبارة عن بناء ضخم مستدير يتوسطه حوض ماء بداخله ما يشبه الجزيرة الصغيرة بني عليها منزل صغير لاستراحة الإمبراطور، به فناء ومكتبة وحجرة طعام تريكلينوم مخططها على نفس الطراز التريفويل بثلاث حنايا لكنها بارزة عن البناء مثل كنيسة ماريا.

[79] J. Butler, op. cit., 5-6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلاصة

يتضح لنا التأثير الروماني على مخططات الكنائس من طراز التريفويل،ويظهر ذلك من خلال وجود المشكاوات في طابقين بداخل الحنايا وهي كانت سائدة في العمارة الرومانية في القرن الثاني الميلادي، كذلك التتابع بين المشكاوات التي يغطيها سقف نصف دائري مع تلك ذات الأسقف المستقيمة كانت شائعة في شمال أفريقيا في القرن الثاني الميلادي كما في مسرح سبراطة في تريبوليتانيا بلبدة.كذلك لم يستمر استخدام المشكاوات بداخل الحنايا في الكنائس التي توجد خارج مصر إلا في شمال أفريقيا أيضًا كما في كنيسة جستنيان بلبدة في تريبوليتانيا بليبيا وقد ظلت المشكاوات المزخرفة سمة مميزة لعمارة الكنائس المصرية.

من جانب أخر نجد أن التأثير المعماري للمعابد المصرية القديمة قد يكون الموحي الأول للكنائس من طراز التريفويل مثلما كان التأثير المصري هو الملهم الأول للطراز البازيليكي للكنائس، ولا نستطيع أن نغفل التأثير الكلاسيكي؛ كذلك الاتجاه إلى عناصر التكاوين المصري في المعابد الفرعونية الجنائزية الطابع التي تتميز بالمحورية من المدخل حتى قدس الأقداس، تلك الحدود المعمارية نجدها متميزة في الطراز البازيليكي الذي يعتمد على المحور المستقيم من المدخل حتى الهيكل والحنية.

مع ازدياد ضرورات العمل الطقسي ازدادت عدد الحجرات التي وزعت خلف الهيكل، وهي حجرات خاصة بالقرابين والكهنوت وغيرها من الأمور الطقسية، تلك الظاهرة نجدها أيضا واضحة في عمارة المعابد الجنائزية المصرية التي أحيطت بحجرات متعددة الاستخدامات للآلهة ولأنواع مختلفة من الطقوس الجنائزية. كذلك التقسيم الثلاثي لقدس الأقداس في بعض المعابد المصرية كما في معبد الإلهة إيزيس في جزيرة فيلاي ربما تأثرت به الكنائس من طراز التريفويل كذلك.

يظهر كذلك التأثير المصري على مخططات الكنائس من طراز التريفويل من خلال تكوين الشكل الخارجي للبناء بشكل خطوط مستقيمة كما في المعابد المصرية القديمة وإن الحنايا لاتبرز خارج البناء على النقيض مع النماذج الرومانية التي تبرز فيها الحنايا مباشرة من الحائط. كذلك وجود بعض العناصر المعمارية المصرية والمتمثلة في الكورنيش المصري *الكافيتو* في الحوائط الخارجية لبعض الكنائس مثلما في الديرين الأبيض والأحمر. أيضاًوجود حاجز أو حائط يفصل بين المنطقة المقدسة والمذبح وجسم الكنيسة ربما كان تأثيرًا مصريًا، حيث يحاط الجزء المقدس من المعبد بمزيد من القدسية والمهابة ولكن عن طريق جعل الضوء يقل في تلك المنطقة المقدسة.

بالنسبة لمسألة ضرورة وجود ثلاث حنايا في هذا المخطط فهذا يدعو للتساؤل ماذا كان الهدف من الحنيتين الجانبيتين خاصة إذا لم يكن يوضع بهما مذبح للصلاة وإذا وضع مذبح فإنه لن يكون باتجاه الشرق وهذا غير مقبول في الكنائس الشرقية، ربما في البداية لم يكن للحنيتين الجانبيتين أي وظيفة طقسية دينية فربما كان مجرد تأثير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معماري مصري خاصة في تقسيم قدس الأقداس لثلاث حجرات تخصص في العادة للثالوث المقدس المصري؛لكن ربما خصصت فيما بعد لأداء بعض الطقوس الدينية المسيحية.

وعلى هذا يمكن القول أن الطراز المتفرد في مصر هو طراز مصري نابع من خبرة مصرية متعايشة مع النماذج المصرية والكلاسيكية فترة طويلة حتى صارت الظواهر المعمارية الكلاسيكية جزء لا يتجزأ من عمارة العصر، وبالتالي تلك الكنائس لم تتقيد بتوجيه من جانب الأباطرةأي برؤية عالمية الطابع فتلتزم بطرز معينة،بل أن المحلية الشديدة قد تبدو واضحة في طرق البناء وأعمال المعمار الجصي المبطن للجدران لإخفاء رداءة الأحجار وعدم استوائها.

من هنا فإن تركز ظهور نمط التريفويل في كنائس صعيد مصر وظهوره في كنيسة ماريا وربما في الكنائس المفقودة بالإسكندرية. بالتالي فإن التفاعل المصري مع هذا الشكل المعماري يعبر عن تأصله في مصر، وخاصة أن النماذج الأخرى التي ظهرت خارج مصر كانت تؤرخ بفترات لاحقة لتلك النماذج المصرية، مما يجعلنا القول بتحديد استقرار الظاهرة وبدايتها في مصر منذ القرن الرابع الميلادي ثم انتشارها في الشرق خاصة في فلسطين وأسيا الصغرى منذ نهايات القرن ذاته وأصبحت أكثر انتشارًا في القرنين الخامس السادس الميلاديين. وعليه ربما قد جاءت فكرة انتشار هذا الطراز من الشرق وليس الغرب كما كان يُعتقد.وأن هذه الظاهرة يمكن من خلالها تحقيق مفهوم التطور المعماري وفقًا لاحتياجات المؤمنين وروح العقيدة وعصرها، وهو ليس بتأثير غربي كما هو معتاد الرجوع إليه دون إحساس بطبيعة المكان وطبوغرافيته والرؤية الاجتماعية والثقافية للمجتمع المصري في تلك الفترة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس اللوحات والصور

رقم الصورة	تعريفها	المصدر
١	مخطط كنيسة الدير الأبيض	M. Capuani, op. cit., fig. 74.
٢	مخطط كنيسة الدير الأحمر	Ibid, fig. 75.
٣	مخطط كنيسة دير أبو فانيوس	Ibid, fig. 59.
٤	مخطط كنيسة الانبا باخوم	Ibid, fig. 76.
٥	مخطط كنيسة دير ابو ماتا	Ibid, fig. 90.
٦	طريقة استخدام ذيل الحمامة في كنيسة دندرة	تصوير الباحثة فتحية جابر ٢٠١٥
٧	مخطط كنيسة دندرة	M. Capuani, op. cit., fig. 81; J., McKenzie, op. cit., fig. 440.
٨	زخارف المشكاوات في كنيسة دندرة	تصوير الباحثة فتحية جابر ٢٠١٥
٩ أ	مخطط كنيسة الأشمونين يحيطها أساسات المعبد البطلمي	J., McKenzie, op. cit., fig. 475.
٩ ب	مخطط كنيسة الأشمونين	M. Capuani, op. cit., fig. 60.
١٠	مخطط كنيسة ماريا	J., McKenzie, op. cit., fig. 478.
١١	مخطط كنيسة كاربائيل بتركيا	Suna Çağaptay Arıkan, op. cit., fig 8.
١٢	المشكاوات المتبادلة في مسرح سبراطة	تصوير الباحثة فتحية جابر ٢٠٠٩
١٣	مخطط مقبرة سوق الورديان	A. Bernand, Alexandrie la Grande, Paris, 1966, Fig.4.
١٤	مخطط تريكلينيوم فيلا هادريان في تيفولي	https://www.webpages.uidaho.edu/larc389/rome_files/arcaded_triclinium.htm

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

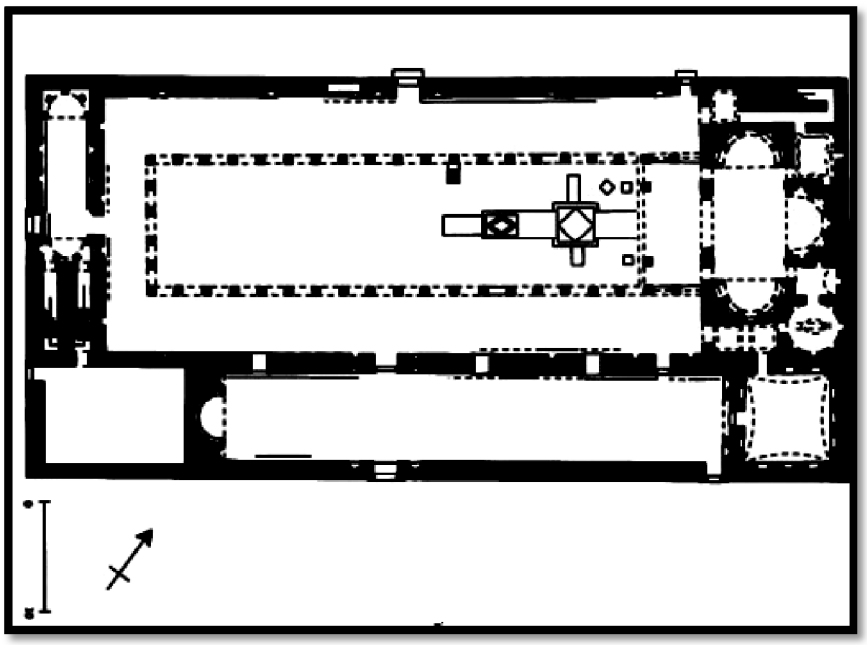

(صورة-١)

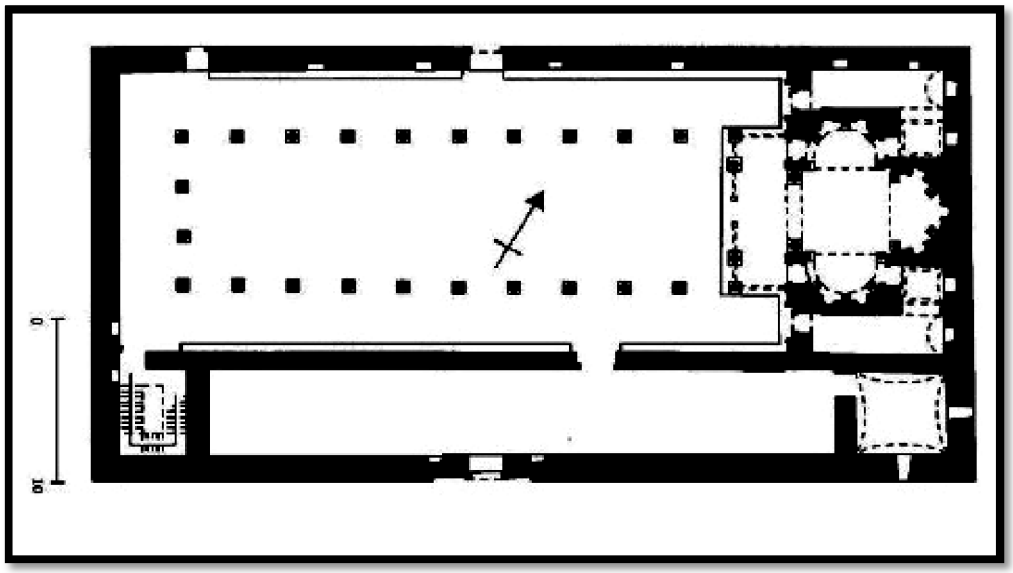

(صورة-٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

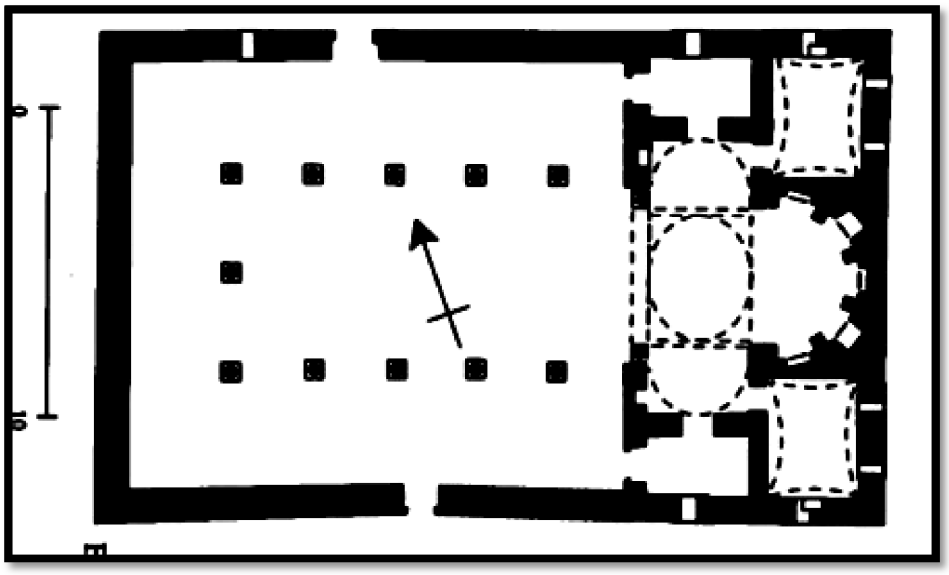

(صورة-٣)

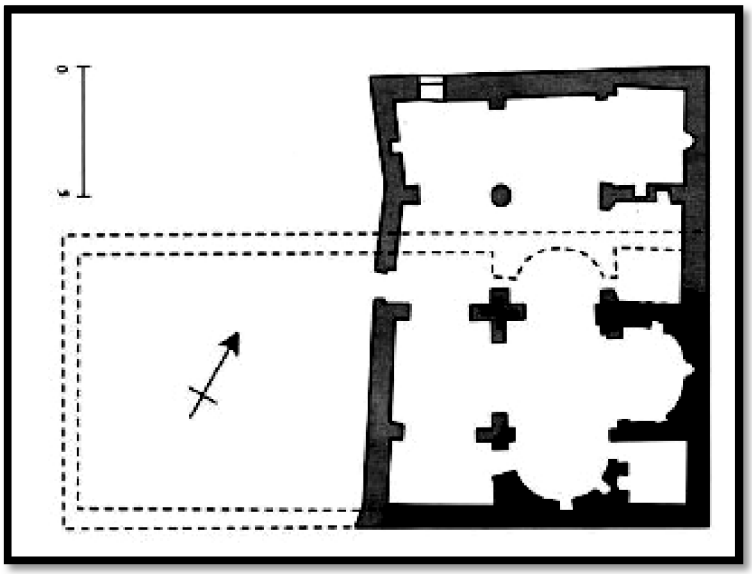

(صورة-٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

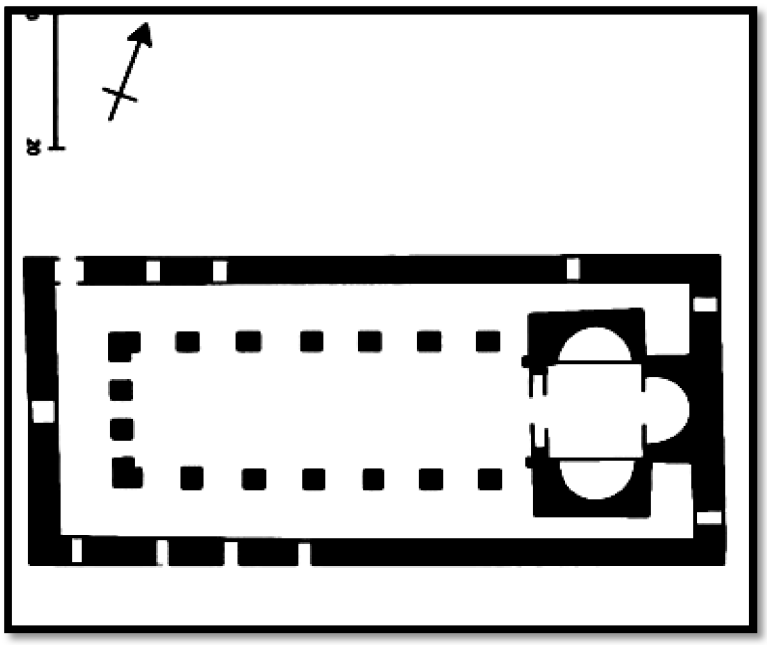

(صورة-٥)

(صورة-٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

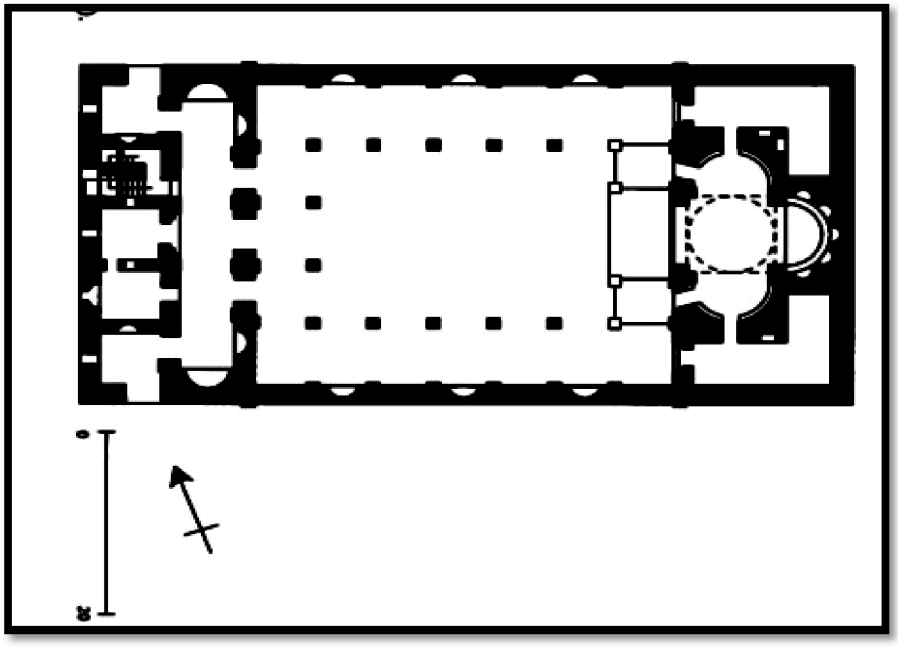

(صورة-٧)

(صورة-٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

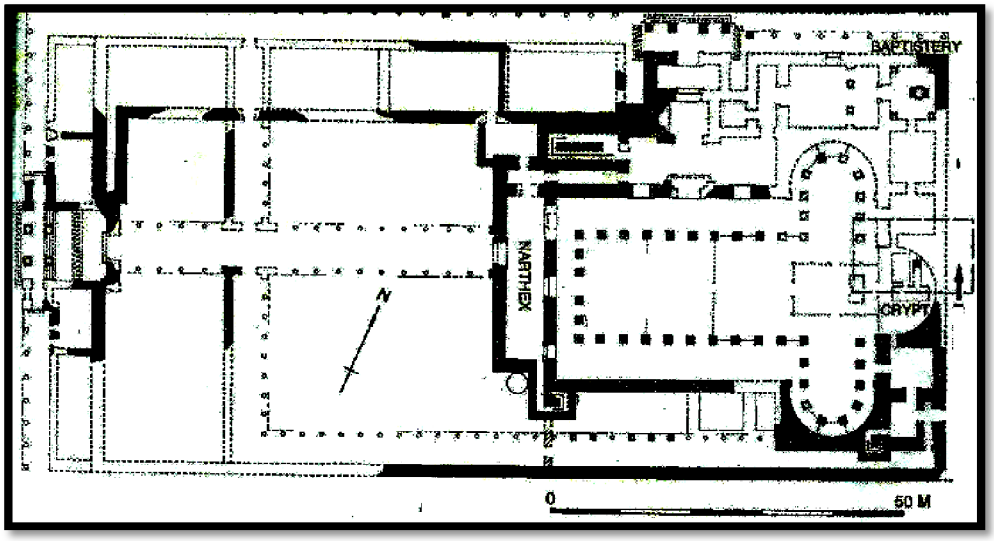

(صورة-٩أ)

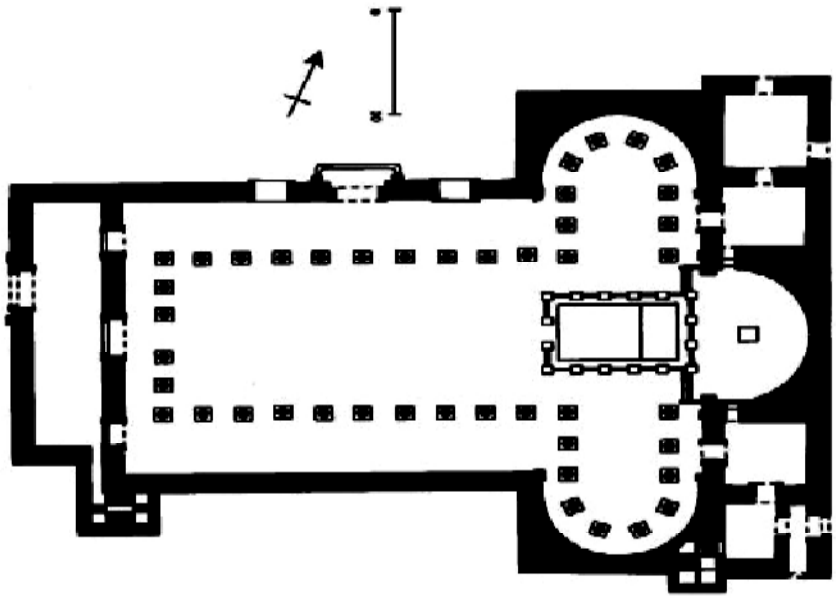

(صورة-٩ب)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

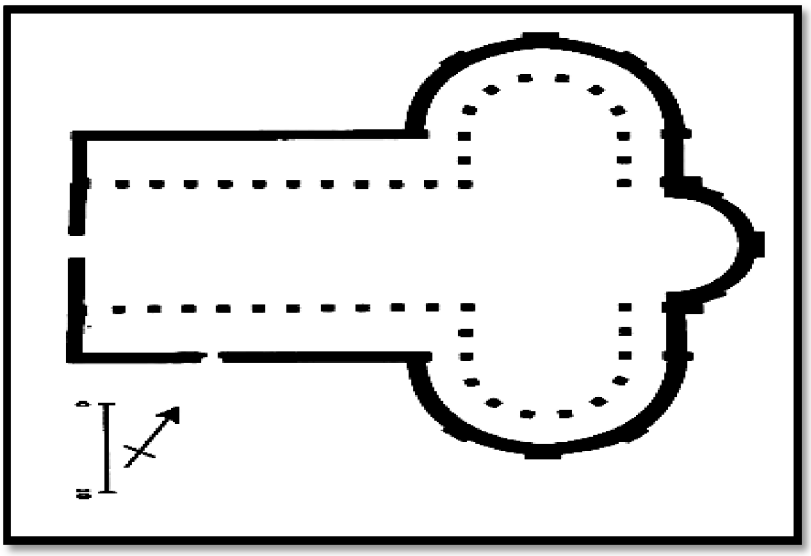

(صورة-١٠)

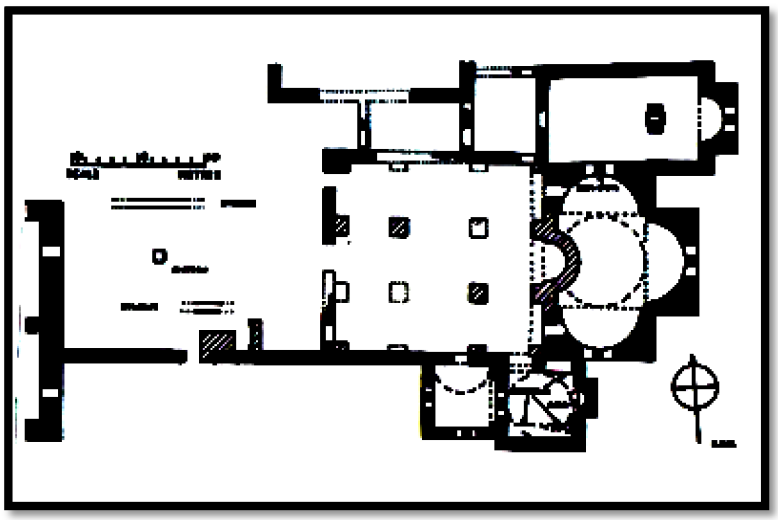

(صورة-١١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(صورة-١٢)

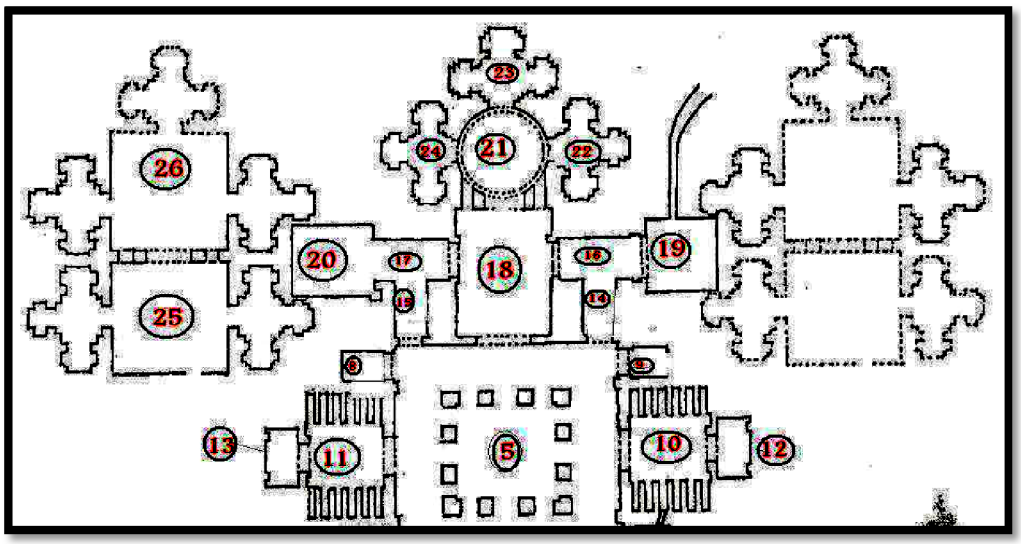

(صورة-١٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

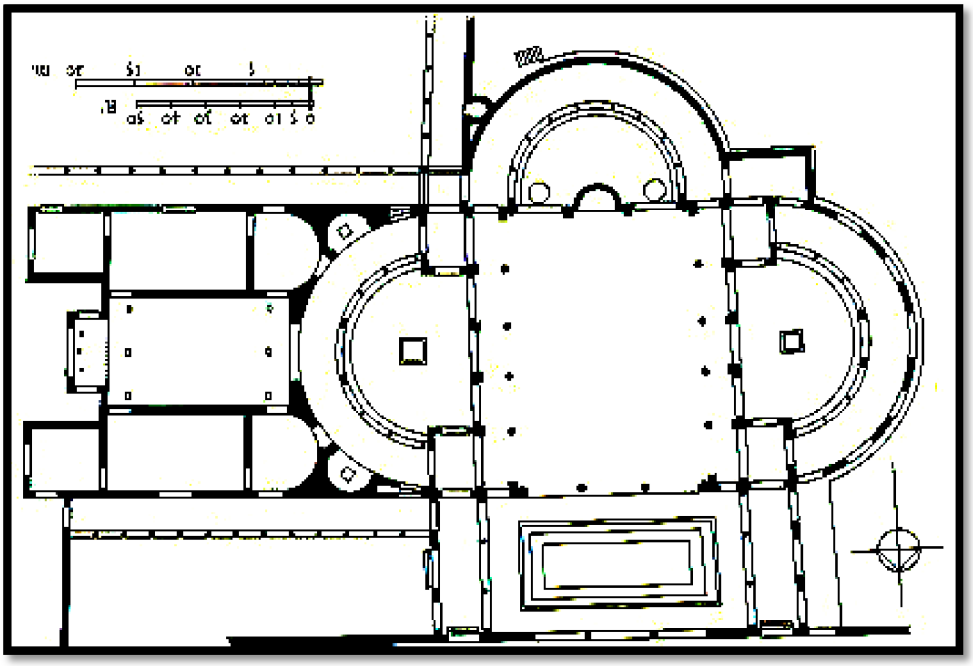

(صورة-١٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com